

قَوِّفْ لَا يُنْسَى حسن مهدي قاسم الريمي



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَلَّفَ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَجَمَعَنَا عَلَى طَاعَتِهِ وَمَرْصَاتِهِ.
وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ
وَصُفْوَتِهِ مِنْ عِبَادِهِ نَبِينَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد...

فكثيراً هي المواقف التي تَمُزُّ بنا، وتؤثر فينا، وسواء كان تأثيرها سلباً أم إيجاباً، لكن الجميل أن نخرج من بعض هذه المواقف بدروس وعبر، ربما لو كانت هذه المواقف ممنهجة لما فهمناها، ولما أخذنا منها ذلك الوعي والعضة التي تركته فينا من قيم ومفاهيم ربما كانت غائبة عنا.

وَلَيْسَ اللَّيْتُ يَنْبُتُ فِي جَنَانٍ
كَعَيْلِ اللَّيْتِ يَنْبُتُ فِي الْفَلَاةِ

أتذكر ذلك الموقف الذي لازال عالماً في ذاكرتي، عندما صليت صلاة العيد في إحدى جوامع مكة المكرمة حرسها الله، وجلست أستمع لخطبة العيد، التي تحدث فيها الخطيب، وحث الناس على ملازمة الطاعة بعد رمضان، وعن الأحكام المتعلقة بالعيد، وعن هدي النبي صلى الله عليه وسلم في العيد، وقبل أن يختم وנגادر الجامع، فإذا به يحث المصلين بهذه الكلمات المشرقة التي حطمت حواجز الخجل، وهدمت جدران الوجع، ورسمت صورة من أروع صور الإخاء بين المصلين، قال فيها:
"عباد الله قبل أن تغادروا هذا الجامع تذكروا إخوة لنا في الدين هم الآن معنا في هذا الجامع، تركوا أهليهم، وتغربوا عن أوطانهم، من أجل لقمة العيش؛ ولولا لقمة العيش لكانوا الآن بين أهليهم، فمدوا إليهم أيديكم، وصافحوهم، وهنؤهم بالعيد وشاركوهم أفراحكم"

وما أن انتهى الخطيب من كلامه حتى قام الجميع في مشهد من أروع مشاهد الإخاء والمحبة بين المسلمين الذين ارتقت أرواحهم، وتسامت نفوسهم، وخالطة البشاشة وجوههم، فتسارعت أيديهم بالسلام، وتعالَت أصواتهم بعبارات التهاني والدعوات، وامتزجت أجسادهم بطيب العناق، لترسم أجمل اللحظات الجميلة، فلا ترى في قلوبهم إلا بياض الألفة، ونور الإيمان، وتجدد المحبة، وإشاعة العفو والمسامحة، والجميع في ميزان السعادة سواء.

فما أطفه من موقف!..

وما أجمله من توجيه!..

كيف كشف المشاعر وأبرز دفتها بين المصلين!؟

وهذا والله شأن الخطيب العارف بمقاصد الشريعة، والمطلع على أسرارها، كيف يغتنم مثل هذه المناسبات الإيمانية في تعميق مفهوم التلاحم بين المسلمين، وتوثيق الرابطة الإيمانية، وترسيخ الأخوة الدينية بينهم، مصداقاً لقوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...) الآية [الحجرات: 10]، والأخوة التي اختارها الإسلام إخوة مبادئ لا أخوة نسب، لأنها أقوى وأوثق من رابطة النسب، فهي جمعت بين صهيب الرومي، وبلال الحبشي، وسلمان الفارسي.

انتهت الخطبة وغادر الجميع الجامع، لكن بقلوب غير تلك القلوب، وحال غير ذلك الحال، وظل ذلك الموقف الرائع من ذلك الخطيب درساً عالماً في الذهن لا يفارقني، كأنني أراه مائلاً أمامي رغم مرور السنين.
فجزاه الله عنا خير الجزاء.

وفي الختام:

هناك مواقف لا تنسى، إن لم تترك موقفاً جميلاً بين الناس فلا تترك عكسه، فمن زرع طيب الأثر حصد محبة الله ثم محبة البشر.

سَأَزْرَعُ الْحُبَّ فِي بَيْدَاءِ قَاجِلَةٍ
لرُبَّمَا جَادَ بِالسَّقِيَا الَّذِي عَبَّرَا

مُسَاوِرٌ أَنْتَ وَالْأَنْثَارُ بِأَقْيَبِهِ
فَاتَرِكْ وَرَاءَكَ مَا تُحْيِي بِهِ الْأَثْرَ

جعلني الله وإياكم ممن يزرع الخير
ويجني ثماره في الدنيا والآخرة.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حسن مهدي قاسم الريمي